الفصل الخامس

الجانب الأدبي و عناية الحوفي به

هذا الجانب شديد الصلة بالجوانب السابقة عليه فلكي يكتمل منهجه في التفسير جاءت عنايته بالجانب الأدبي ذلك الجانب الذي يمكننا أن نلمسه عند الحوفي من خلال اتجاهات ثلاث:

الاتجاه الأول: عنايته بقضية الإعجاز القرآني:

يبيِّن الحوفي في عرضه لقضية الإعجاز القرآني معجزة النبي محمد صلي الله عليه وسلم كالمعجزات السابقة للأنبياء السابقين على محمد، لأن الله سبحانه وتعالى : حين ابتعث الرسل ابتعثهم بآيات تدل على صدق نبوتهم و أنهم مصطفون من قوة فوق قوة البشر وكانت هذه المعجزات المناصرة للأنبياء من جنس ما برع فيه قومهم، فموسى كانت معجزته من جنس السحر الذي برع فيه قومه، و عيسى كانت معجزته الطب لبراعة قومه فيه، ومحمد معجزته البيان لأنه مبعوث إلى قوم فصحاء أبيناء(١).

نزل القرآن إلى العرب وتحداهم أن يأتوا بمثله وجعل عاقبة هذا التحدي أمارة صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢).

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بقضية الإعجاز ففي قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٣).

١ - د. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في التفسير ١٩٧.
٢ - سورة الطور آية ٣٤.
٣ - سورة البقرة آية ٢٣.

يقول: و إن كنتم أيها المشركون في ريب مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور و البرهان و بآيات القرآن أنه من عند الله و أنه الذي انزله إليه فلم تؤمنوا به و لم تصدقوه فيما يقول فآتوا بحجة تدفع حجته لأنكم تعلمون أن حجة كل نبي على صدقه أن يأتي ببرهان يعجز أن يأتي بمثله جميع الخلق ومن حجة محمد على صدقه و برهانه عجز جميعكم و جميع من تستعينون به من أعوانكم أن يأتي بسورة من مثله و إذا عجزتم عن ذلك و انتم أهل البراعة و الفصاحة فقد علمتم أن غيركم عنه اعجز و أنه مثل ما تقدم من معجزات الرسل قبله فيجب حينئذ أن محمداً لم يتقوله و لم يختلقه لأن ذلك لو كان اختلافاً مقولاً لم يعجزوا عن الإتيان بمثله لأن محمداً بشراً مثلكم و إذا كان الأمر على هذا فلم تكلفوا أن تأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن فيعتذروا أن يقولوا كلفتنا ما لو أحسناه أتينا به، ولكنه قال آتوا بسورة من مثله من الألسن ألسنتكم، وانتم إن كان محمد اختلقه و افتراه إذا اجتمعتم و تظاهرتم بالإتيان بمثل سورة منه من لسانكم و بيانكم اقدر على اختلاقه و وضعه و تأليفه من محمد عليه السلام، و إن لم تكونوا أقدر عليه و أنتم جميع، فلم تعجزون عما يقدر عليه محمد و هو وحيد إن كنتم صادقين في دعواكم و افترائك أن محمداً افتراه واختلقه و أنه من عند غير الله[1].

و الحوفي في هذا الجانب يميل إلى منهج المتكلمين في الاستقصاء و الاستدلال، إلا أنه يبيِّن عجزهم بدليل عدم مقدرتهم على الإتيان، و ما داموا غير قادرين على ذلك و هم جميع فمن باب أولى ألا يقدر محمد على ذلك و هو وحيد، يقول: إن كنتم محقين في جحودكم أن ما جاء به اختلاق و افتراء لتمتحنوا أنفسكم و غيركم هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من مثله فيقدر محمد على أن يأتي بجميعه من قِبَلِ نفسه اختلافا و هذا مثل دعاة الجاهلية كما قال الشاعر:

---

١ - الحوفي: البرهان ٩٠/١.

و لمـــا ألتقـــت فرســـاننا و رجـــالهم **** دعوا يـا لكعب و اعتزينـا لعـامر[1]

و في هذه الآية برهن الحوفي على قضية الإعجاز إذ بيّن:

أ. عدم قدرة الخلق على الإتيـان بمثل معجزة أي نبي يقول: تعلمون أن حجة كل نبي على صدقه أن يأتي ببرهان يعجز أن يأتي بمثله جميع الخلق.

ب. عجزهم على الإتيـان بسورة من مثله دليل على عجز غيرهم من الإتيـان به يقول و من حجة محمد على صدقه و برهانه عجز جميعكم و جميع من تستعينون به من إخـوانكم أن يـأتوا بسـورة مـن مثلـه و إذا عجـزتم عـن ذلـك وانـتم أهـل البراعـة و الفصاحة فقد علمتم أن غيركم عنه أعجز.

ج. اتفـاق لسـان محمد و لسانهم دليل على عجزهم و عجز جميع الخلق على الإتيـان بسورة من مثله.

و هذا دليل على صحة النبوة بما جعله الله في القرآن من الإعجاز على أن يعارضه احد من الناس إذا كانت تدل على معجزة باقية في كل زمان يستدل بها في كل عصر و أوان[2].

و الحوفي يستدل بدليل آخر على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ففي ذكر قصة بني إسرائيل يبيِّن أنه قد يجيء لفظ في موضوع على معنى و في آخر على غير ذلك المعنى يقول "و ما تكرار ذكر العجل و رفع الطور و قتل الأنبياء مع تقدم ذكر ذلك فإنما ذلك لأنه قد يجيء في موضوع على معنى و في آخر على غير ذلك المعنى فيكون الموضوع الأول ليعلم الناس و اليهود أن الله قد أطلع نبيه على أسرارهم و أخبارهم، و هو أمي به لا يقرأ الكتب فيكون ذلك دلالة على صحة أمره،، و إعادة ذلك في الموضع الآخر على جهة المحاجة لهم لأنه هاهنا جواب و احتجاج لما أدعوا أنهم مؤمنون بما انزل الله عليهم فقال الله لنبيه قل لهم فلم

١ - الحوفي: نفسه ٩١/١.
٢ - الحوفي: البرهان ٩١/١.

تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين، و يجوز أن يكون هذا من بلاغات القرآن فيجيء على ألفاظ و معان متفقة، لأنهم تحدوا به أعني العرب الفصحاء لئلا يقولوا سبقت إلى اللفظ الفصيح الذي ليس أفصح منه، فجاء مكرراً في مواضع كثيرة من كتاب الله لدفع دعاويهم في تخير الألفاظ و السبق إليه فتكراره على لفظ يعجز البشر مع تكراره دليل على أنه من عند الله "(١).

فالحوفي في هذا الجانب يضيف أدلة جديدة إلى الدليل الأول و هو: أن الله أطلع نبيه على أسرارهم و أخبارهم و هو أمي لا يقرأ الكتب، فمن أين علم أخبارهم، ففي قوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

يقول: فهذا تنبيه للمشركين من العرب و إن كان ليس لهم كتاب فإن بني إسرائيل بين أظهرهم و هم أهل الكتاب و فيهم نزلت الآيات، فأخبرهم بذلك ليتعرفوا علمه من قبلهم فقال: ﴿....وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣).يها الكافرون المكذبون بمحمد و بما جاء به و في هذا أكبر الحجة و الدلالة على نبوته و صدقه لأن هذا أيضا ليس من علم العرب و منشأه و منتهاه معروف أي محمد لأنه لم يقرأ كتاباً و لم يخرج إلى من يقرأ الكتب فيعلم أن هذا لا يكون إلا من قبيل الله عزوجل(٤).

إلى جانب هذا بلاغة القرآن و كما بيَّنها الحوفي و بيَّن أن منها التكرار يقول فتكراره على لفظ يعجز البشر حتى أن الكفار من قريش حين عرفوا استيلاء القرآن على النفوس وخاصة تلك التي تقدر الجمال" جمال البيان " قدره منعوا عنه الشعراء و حالوا – جهدهم –

١ - الحوفي: البرهان ٨٦/٢.
٢ - سورة البقرة آية ٧٣.
٣ - سورة البقرة آية ٧٣.
٤ - الحوفي: البرهان ٢٢٧/١.

بين الفصحاء و بينه، قال تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (١) (٢).

و كما أن القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه و سلم و هو أمي لا يقرأ، وأنهم أي الكفار و المشركين عجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله، إلى جانب إخبارهم بأسرارهم الماضية، و ببلاغة القرآن التي عجزوا أمامها و هم أهل فصاحة وبلاغة، جاء بدليل آخر وهو الإخبار عن الغيوب المستقبلة، ففي قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٣). يقول بعد أن بيّن قوله تعالي﴿ ....وَلَن تَفْعَلُوا... ﴾ أي لا تقدروا أن تأتوا بسورة من مثله أبدا: ولن تفعلوا فأخبر بأمر لا يكون فكان كما أخبر، و يزيد الأمر توضيحا فيقول و قد تضمنت الآية الزجر عن الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور آيته و قيام حجته و معجزته التي أبانها الله بها من جميع خلقه ليدل على صدقه، و دلت الأخبار بالغيب بقوله﴿ ....وَلَن تَفْعَلُوا... ﴾ فكان الأمر كما اخبر به لأن لو قال لن يقوم أحداً من مكانه في يومه و غده و كان الأمر في ذلك على ما تقدم به الأخبار لظهر من جهة العلم بالغيب الإعجاز، و في ذلك الحجة البينة و الدلالة الواضحة(٤).

و في قوله تعالى﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٥).

يقول: و هذه الآية خبر من الله عز و جل على اليهود و كراهيتهم الموت و امتناعهم من الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل

١ - سورة فصلت آية ٢٦.
٢ - د. الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن ٢٠٠.
٣ - سورة البقرة آية ٢٤.
٤ - الحوفي: البرهان ٩٤/١.
٥ - سورة البقرة آية ٩٥.

والموت بهم واقع وقد تضمنت الآية الإخبار بغيب كان مخبرة على ما تقدم الخبر به وفي ذلك الآية للنبي صلى الله عليه وسلم مضافاً إلى الآية المتقدمة لأنه لو تحداهم فلن يعارضوه كان آية له وإن لم يخبر فإذا أخبر ففي ذلك بيان آية أخرى(١).

والحوفي بما ساقه من الأدلة التي جاءت في موضعها وهي كثيرة للدلالة على وجوه إعجاز القرآن، قد التزم منهج الأشاعرة في بيان وجوه الإعجاز الذي تميز بثلاثة وجوه:

أولها: ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

الوجه الثاني: أنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير في حين خلق الله آدم إلى مبعثه، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنباءهم وسيرهم.

الثالث: أنه بديع النظم وعجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه(٢).

والحوفي يكشف الوجه الإعجازي من خلال سياق الآية القرآنية ولذلك جاءت معالجته لقضية الإعجاز في مواضع كثيرة من تفسيره، ولم يكن صنيعه مثل ما خصص لتلك القضية دراسات مستقلة كالخطابي والرماني والبلقاني وغيرهم(٣).

أو من أشار إليها في مقدمة تفسيره كالقرطبي حيث أفرد مبحثا مستقلا في مقدمة تفسيره حدَّد فيه الأقوال التي جاءت حول الإعجاز القرآني وحقيقة المعجزة وشروطها(٤).

---

١ - الحوفي: البرهان ٢/٩٠- ٩١.
٢ - الباقلاني: إعجاز القرآن ٦٩.
٣ - ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن.
٤ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/٦٩.

الاتجاه الثاني: الجوانب البلاغية:

الجوانب البلاغية مبحث أصل في قضية الإعجاز القرآني، فقضية الإعجاز البياني دارت حولها المباحث الجادة، و لقد كان للمتكلمين فضل السبق في بحث هذا الجانب، فالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ يرى أن القرآن معجز بنظمه و قد تحداهم بهذا النظم المعجز(١).

و الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ قال أن القرآن معجز ببلاغته و حد البلاغة: أنها إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة اللفظ، فأعلاها طبقة من الحسن بلاغة القرآن و على طبقات البلاغة معجز العرب و العجم كإعجاز الشعر للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة(٢).

و رأى الخطابي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ أن الوجه الأول في الإعجاز القرآني هو الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزاً لفظاً و معنىً و نظماً، يقول الخطابي: و إنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية و بأوضاعها التي هي ظروف المعاني و الحوامل لها و لا تدرك أفاهمهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ و لا تكتمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم(٣).

و كما قال البلقاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ من: أن الوجه في إعجاز القرآن أنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم و مباين لأساليب خطابهم ليس من قبيل الشعر و لا السجع و لا الكلام الموزون غير المقفى و لهذا لا يمكن معارضته(٤).

ما من شك في أن الحوفي استفاد من السابقين عليه في بيانه للجوانب البلاغية للنص القرآني و ربطها بقضية الإعجاز القرآني، و هو كما بيَّنا لكم لم يقصد إلى التأليف في ذلك كعلم مستقل بل عالجه في أثناء تفسيره للآي القرآني.

---

١ - د. الجويني: السابق ٢٠٦.
٢ - د. الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن ٢٠٧.
٣ - د. الجويني: نفسه ٢٠٨.
٤ - د. الجويني: نفسه ٢٠٨.

فمن بلاغة القرآن:

في قوله تعالى:﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ... ﴾ (١)

يقال لما كرر ذكر العجل و رفع الطور و قتل الأنبياء، مع تقدم ذكره؛ فإنما ذلك قد يجيء في موضع على معنى و في آخر على غير ذلك المعنى. والحوفي بعد أن بيّن معناه يقول: و يجوز أن يكون هذا من بلاغات القرآن، فيجيء على ألفاظ مختلفة و معاني متفقة، لأنهم تُحُدُّوا به أعني العرب الفصحاء لئلا يقولوا سُبِقْتَ إلى اللفظ الفصيح الذي ليس أفصح منه فجاء مكرراً في مواضع كثيرة من كتاب الله لدفع دعاويهم في تخير الألفاظ و السبق إليها فتكراره على لفظ يعجز البشر مع تكراره دليل على أنه من عند الله(٢).

التكرار:

في قوله تعالى:" ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ " (٣) يقول: لما كرر ذكر الرحمن الرحيم. الجواب المبالغة و التوكيد على أن لله من النعم ما لا يفي به من نعمة منعم فجرت على كلام العرب إذا أرادوا الدلالة على المبالغة قال الشاعر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا(٤)

و كما قال الآخر:

كم نعمة كانت لكم كم كم و كم(٥)

و أنت تقول في الكلام: أذهب أذهب، أعجل أعجل ليدل على المبالغة، فقد زعم بعضهم أنه إنما كرر لأن بسم الله الرحمن الرحيم ليس من سورة الحمد، هذا القول لا وجه

١ - البقرة آية ٩٣.
٢ - الحوفي: البرهان ٨٦/٢.
٣ - الفاتحة من الآية ١.
٤ - الحوفي: البرهان ١١/١.
٥ - جاء في لسان العرب أن: كم اسم و سؤال عن عدد، و هي تعمل في الخبر عمل ربّ، إلا أن معنى كم التكثير، و هي مُغْنية عن الكلام الكثير المتناهي. (راجع ابن منظور: " اللسان مادة كَمَمَ ".)

له إذا كان تقارب ما بينهما قد حصل فسواء كان في سورة واحدة أو سورتين أو ما هو بمنزلة السورتين ألا ترى أنه لو طال الكلام و تباعد ما بينهما في سورة واحدة و لكان بمنزلة ذلك ما هو من سورتين متباعدتين، و زعم بعضهم أنه على التقديم و التأخير، كأنه قال الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين، و اعتل في ذلك بأن العالمين مع مالك يوم الدين أشكل به و الرحمن الرحيم مع الحمد لأنه نقيض يدل على ذلك، و زعم بأنه بمنزلة قوله جرير في التقديم و التأخير.

طاف الخيال و أين منك لما ما **** فارجع لزورك بالسلام سلاما[1]

أي طاف الخيال لاما و أين منك، هذا غلط من قبل أن الكلام إذا صح أن يكون في موضعه لم يجز أن يعني به غير موضعه و ذكر العالمين في موضعه حسن جميل لأنه جل وعز لما دل على الأمر بالحمد وصله بذكر ما يجب به الطاعة في الأمر ثم أتبع ذلك بما يستحق به الحمد و كان ذلك في نهاية الحسن[2].

التصرف في الكلام:

في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] يقول: يقال لم كُررت إياك الجواب: لأنها قامت مقام الكاف في نعبدكم و نستعينك و لو قلت نعبد ونستعين لم يكن وجه الكلام لأنه ليس فيه إفصاح للمعنى، يقال: لم قيل: مالك يوم الدين علة لفظ الغائب ثم قيل: إياك نعبد على لفظ المخاطب، الجواب: فيه وجهان: أحدهما: على حذف القول بمعنى قولوا الحمد لله، قولوا إياك نعبد و إياك نستعين، والوجه الآخر: إن شأن الرعب أن يصرفوا من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة للتصريف في الكلام و

١ - ديوانه: قصيدة لا مسلمين و لا كراماً" يهجو الفرزدق " ٤٤٤.
٢ - الحوفي: البرهان ١١/١.
٣ - الفاتحة آية ٥.

الاتساع فيه كما قال : ﴿ .... حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ....﴾ [1]، [1]، و قال كثير الهذلي [2]:

يا لهف نفسي كان جدّه خلدِ **** و بياض وجهك في التراب الأعفر

و قال لبيد[3]:

بانت تشكى إلى النفس مجهشة **** و قد حملتك سبعت بعد سبعينا[4]

سبعينا[4]

و في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[5]، يقول: و يقال لما جرى الخطاب يقولوا بعد الإخبار، الجواب : إن

إن هذا على التصرف في الكلم كما قال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت **** عسراً على طلابُك ابنة محرم[6]

فجاء على الإخبار ثم الخطاب، قال آخر:

أسيئي بنا أو أحسني و لا ملومة **** لدينا و لا مقلية إن تقلت

---

١ - سورة يونس آية ٢٢.
٢ - ديوان الهذليين: ١٠١/٢ في المطبوعة.
٣ - ديوان لبيد ٤٦.
٤ - الحوفي: البرهان ١٨/١ – ١٩.
٥ - سورة البقرة آية ٨٣ .
٦ - البيت لعنترة و يروي:
حلّت بأرض الزائرين فأصبحت *****عسراً على طلابك ابنة محرم
" شرح المعلقات السبع للزوروني ١٦٤".

جاء على الخطاب ثم الإخبار، و يقال: كيف جاء: " و إذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخبار، ثم جاء بعده: لا تعبدون إلا على القسم أو على النهي و لفظه لفظ الخبر الجواب: للحكاية ثلاثة أوجه: حكاية اللفظ و المعنى، كقولك: قال زيد عمرو عالم. الثاني: حكاية على المعنى يقوم مقام المحكي من غير تأدية الصورة بعينها كقولك : قال زيدٌ عمرو عارف، فجعلت عارفاً موضوع عالم. الثالث: على المعنى بما ليس بمنزلة الأول لكنه يفهم منه معناه كقولك: قال زيد عمرو من العلماء، و إنما كأنما قال عمرو عارف فهذا يفهم منه لا تعبدوا إلا الله، و الله لا تعبدوا إلا الله[1].

التقديم و التأخير:

و في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[2]، يقول: فإن قيل كيف جاء قوله:﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[3] بعد أمرهم بذبح البقرة، و هم إنما أمروا بذبح البقرة بعد أن تداروا أو تنازعوا، الجواب: إن البلاغة ليس توجب أن تكون هذه الأمور مرتبه في الأخبار على حسب ترتيبها في وقوعها ولكن قد يقدم بعضهم ويتأخر على حسب السبب الذي يقضي تقديم ذلك و تأخيره فيكون ذلك حينئذ ابلغ فيه وكل ذلك مع العلم في التقديم و التأخير[4].

الحقيقة و المجاز:

ففي قوله تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾[5] يقول قال الله عزوجل﴿ ....فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[6][7]

---

١ - الحوفي: البرهان ٦٢/٢ – ٦٣.
٢ - سورة البقرة آية ٧٢.
٣ - سورة البقرة آية ٧٢.
٤ - الحوفي: البرهان ٤٠/٢- ٤١.
٥ - سورة البقرة آية ٧٩.
٦ - سورة البقرة آية ٧٩.
٧ - الحوفي: البرهان ٥٤/٢.

و معنى يكتبون الكتاب بأيديهم فإنما ذكرت الأيدي و إن كانت الكتابة لا يكون إلا بأيدي فإما ذلك الفرق بين المجاز و الحقيقة، و ذلك انك تقول: كتب فلان كتاباً و إذا أمر به و لم يتوله بنفسه فقيل بأيديهم ليعلم أنه يتولونه بأنفسهم و لم يأمروا جهالهم مثله قوله عز وجل(...وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ...) [1] لأنك تقول للإنسان طر في حاجتي، فقال بجناحيه لا الفرق بين الإنسان و الطائر[2].

الحذف:

في قوله تعالى﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ....﴾[3]، يقول رئي عن الربيع بن انس قال: الذين أنعم عليهم النبيون، قيل جميع الناس فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك من ملائكتك وأنبياءك و الشهداء و الصالحين و الصديقين، وحذف هذا لدلالة الظاهر عليه لأن من شأن العرب الاجتزء ببعض كلامهم من بعض و إن كان فيما بقي دليل على ما ألقى، و منه قول النابغة:

كأنك من جمال بني أقيش **** يقعقع خلف رجليه بشن

يريد كأنك جمل من جمال بني أقيس فحذف للدلالة[4].

و في قوله تعالى:﴿ ...وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾[5].

---

١ - سورة الأنعام من الآية ٣٨.
٢ - الحوفي: البرهان ٥٤/٢.
٣ - سورة الفاتحة من الآية ٧.
٤ - الحوفي: البرهان ٢٥/١.
٥ - سورة البقرة آية ٤٥.

يقول الهاء في إنها تعود إلى الصلاة و من قال هي عائدة على الصلاة و قد تقدم ذكر الصبر و قال في الكلام حذف، كما قال عز وجل(وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا...) (١). ولم يقل إليهما، قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأي مختلف

يريد نحن راضون بما عندنا و أنت راض بما عندك، ثم حذف للعلم به، لأن ما بقي دليل على ما ألقى، و قيل هي عائدة على الأمور المفروضة التي أمروا بها من الصلاة و إيتاء الزكاة و الصبر على المحارم، وقيل هي عائدة على إجابة النبي و إن لم يجري بها ذكر لما في الكلام من الدلالة عليها(٢).

وفي قوله تعالى﴿ ....وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ.... ﴾ (٣)

قال الربيع بن أنس و قتادة و أبو العالية اشربوا حب العجل، كما قال عز وجل و إسأل القرية أي أهل القرية كقوله تعالى " لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ " أي بر من آمن فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و هو كثير في القرآن و اللغة فحذف فيها الشيء مع العلم به(٤).

و في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)، يقول والجواب لو محذوف لعلم السامع، في الحذف معنى المبالغة لاتساع التأويل(٦).

١ - سورة الجمعة آية ١١.
٢ - الحوفي: البرهان ١٥٣/١.
٣ - سورة البقرة آية ٩٣.
٤ - الحوفي: البرهان ٨٥/٢.
٥ - سورة الأنعام آية ٢٧.
٦ - الحوفي: البرهان ٣١/١٠.

والحوفي يبيِّن القيمة الجمالية في تقدير الصورة البلاغية ففي قوله تعالى﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١)، يقول: روي عن ابن عباس وعطاء وقتادة ومجاهد قال: الصيب المطر، وقال أبو جعفر والتقدير في العربية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا أو كمثل صيب قال: المعنى: أو كصاحب صيب و أو هاهنا للإباحة أي التمثيل بهذه الأشياء ببعضها مباح لكم في المنافقين والظلمات مضروبة لما في قلوبهم من النفاق والرعد والبرق لما يخوفون به، وروي سنان عن قتادة قال البرق هو الإسلام و الظلمة: الفتنة والبلاء، وقيل:تقدير التشبيه أن المطر مشبه بالقرآن المنزل، ما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان الذي ينتفع به المنافق من إظهار الإيمان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد في الأجل و الدعاء إلى القتال في العاجل، ومعنى هذا يروى عن ابن عباس، قيل في تقدير التشبيه قول آخر قيل : أنه المطر الذي هو في الغيث وفيه الحياة شبيهة بالإسلام لأنه ذلك وشبيهة بما فيه من الظلمات وفي الإسلام المنافقين من أبطان الكفر، وما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد وخوف القتال وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن الدماء والاختلاط بالنفس في المناكحة والموارثة والدفن، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزجر بالعقاب في العاجل والآجل ومعنى هذا يروى عن الحسن (٢).

١ - سورة البقرة آية ١٩.
٢ - الحوفي: البرهان ٧٣/١- ٧٤.

والحوفي بما بيَّنه في هذه الآية من صور بلاغية دليل على براعته الأدبية وتمكنه من التخريجات البلاغية، ولقد أجمع العلماء واتفق الأدباء على شرف التشبيه في أنواع البلاغة، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالا وكساها حله وجمالا(١). كما أن التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا(٢).

وهو في بيانه لهذا التشبيه التمثيلي أو التركيبي الذي شبه فيه المطر الذي ينزل من السماء بالقرآن المنزل من السماء، ثم رسم صورة تركيبية فالمطر بما فيه من ظلمات ورعد وبرق وصواعق بالقرآن، وما فيها من ابتلاء وزجر وبيان ووعد، ثم رسم صورة تقابلية بين تلك الأشياء الملازمة للمطر بما في القرآن، والحق أنك تحس بريشة الفنان الذي جمع بين أوجه التشبيه في صورة فنية رائعة تلك الأوجه التي جرت على موازين بلاغة التشبيه و هي:

١. إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.
٢. إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت عليه.
٣. إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما لا يعرف بها(٣).

كل ذلك لا يتم إلا لرجل غاص في أعماق الدرس الأدبي وأخرج لنا درره ومكنونه.

الاتجاه الثالث: الشواهد الشعرية:

لقد عني الحوفي بالشواهد الشعرية عناية فائقة وذلك لأهميتها في فهم المعنى وربطها بالإعجاز القرآني، ولذا ضمن تفسيره كثيراً من الشواهد التي استشهد بها في اللغة والنحو والقراءات ومعنى التفسير والأحكام الفقهية والوقف والتمام مقتفياً آثار ابن عباس

١ - الزركشي: البرهان ٤١٤/٣.
٢ - أبو هلال العسكري: الصناعتين ٢٣١.
٣ - أبو هلال العسكري: نفسه ٢٣١ وما بعدها.

الذي يقول: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب[١].

و لما كان القرآن عربياً نزل بلغة العرب و لسانهم دلت على ذلك آيات عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى﴿ ...وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[٢]، و قوله تعالى﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣]، و قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ.... ﴾[٤]، نزل لهم القرآن الكريم بلغة العرب و لسانهم و نهج كلامهم، و لكي يقع الإعجاز فلقد جاء القرآن متفقا مع ما جاء من كلامهم و مع ذلك خفي عليهم و في ذلك حجة عليهم، و مع أن القرآن من جنس كلامهم لكنهم احتاجوا إلى فهم معانيه، فإذا أغلق عليهم لفظ من ألفاظ القرآن رجعوا إلى أشعارهم يلتمسون فهمها منه و هذا غاية في الإعجاز، و الحق أن وصف القرآن بأنه من واع كلامهم و هو مع هذا معجزة لهم، يسموا بأدب القرآن إلى الندرة ويجعل من أعجازه وتحديه لفصحاء العرب مغزى سام جليل يجب أن نحرص عليه وان نستمسك به[٥]

وسوف نقف على أمرين

الأمر الأول: كيف اتفق النص القرآني والبيت الشعري:

ليس المقصود بذلك أن النص القرآني من جنس أشعارهم أو هو شعر كأشعارهم فهذا الأمر نفاه القرآن نفسه. إنما المقصود به نفي معانيه وأخيلته ، تلك التي تصور الأمور علي غير حقيقتها ولا يسلك فيها الشعر إلا مسلك العاطفة ، وهو حر الخيال يذهب فيه كل

١ - السيوطي: الإتقان ١/ ١٥٧.
٢ - سورة النحل آية ١٠٣.
٣ - سورة يوسف آية ٢.
٤ - سورة إبراهيم آية ٤.
٥ - د. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ٣٠٤.

مذهب ويصوره في الصورة التي يرتضيها فنه وعاطفته ، وقد يصور الحق باطلاً والباطل حقًا ، أما القرآن فإنه يستخدم العقل والمنطق والنبي صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (١)

و إذا كان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، ونزل مصدقا لما بين يديه ، فلا بد أن يكون متفقا مع ألفاظهم لفظاً ومعنًي ، وأوضح ألفاظ لهم ما وقع في أشعارهم ، وسوف نبيّن أمثلة ما جاء من أشعارهم ،وهذا يَدُلُّ عليه شعر ما قبل الإسلام .

ففي قوله تعالى:(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)(٢) يقول :الربُّ في الكلام السيد والمالك والمصلح والمدبر قال لبيد :

وأهلكن يوما ربَّ كندة وابنه **** وربّ معدٍ بين خبث وعرعر

يعني سيد كندة ، ويقال رب الدار ، ورب الفرس أي مالك ، وقال علقمة بن عبدة :

وكنت إمرأ أفضت إليك ربابتي **** وقبلك ربتني فضعت رُبوب

ربوب جمع رب ، أي الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أمري ، وقد صارت الآن ربابتي إليك أي تدبير وإصلاحه فهذا ربٌّ بمعني مالك .

هكذا بين الحوفي كيف اتفقت اللفظة في الآية القرآنية والبيت الشعري ، وان كان ذلك يقودنا إلي قضية قديمة و هي قضية النظم ، وبعدًا عن الخلافات التي دارت حول تلك القضية نقول : أن قولنا بالاتفاق هو أن القرآن جاء موافقا لكلام العرب وإن كان كلامهم يتفاوت ويتصف بالنقص عند التنقل من معني إلي غيره فان القرآن علي اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلي الحد الآحاد ، وهذا أمر عجيب

١ - د. إبراهيم أنيس : نفسه ٣٠٥.
٢ - سورة الفاتحة آية ٢.

تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج معه الكلام عند حد العادة ، ويتجاوز العرف[١] .

واتفاق الألفاظ التي جاءت في النص القرآني مع ما جاء منها من الشعر الجاهلي دليل علي إعجاز القرآن من جنس كلامهم بدليل اتفاقه وكلامهم بما جاء في أشعارهم إلا أنهم عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله وهذا غاية في الإعجاز.

الأمر الثاني: اثر القرآن في البيت الشعري :

و هذا يتضح في شعر صدر الإسلام وما بعد ذلك إلى وقتنا ، فلقد اقتبس الشعراء من ألفاظ القرآن الكثير، وبهذا الاقتباس يظهر اثر القرآن في الشعر العربي ، ومن أهم اثر القرآن أنه جمع العرب علي لهجة قريش وقرّب بينها وبين اللهجات الأخرى وجمع بينهما وأصبحت اللسان الأدبي على مدى العالم الإسلامي ، كل ذلك بفضل القرآن الكريم فهو الذي حفظ العربية من الضياع ونشرها في أقطار الأرض وجعلها لغة حية خالدة [٢] .

كما احل العربية معاني دينية جديدة لم نكن نعرفها من قبل ،كما أنه هذّب اللغة من الحوشية واللفظ الغريب ، فأقمها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة [٣]. كل ذلك جعل العلماء والأدباء يهجرون لغاتهم المختلفة إلي لغة الصافية الشفافة [٤] فجاءت ألفاظ القرآن مع البيت الشعري في اللفظ والمعنى ، ولهذا استعان المفسرون بالبيت الشعري كشاهد لكشف المعنى ،والحوفي وأحد من المفسرين الذين استخدموا الشعر كوسيلة لفهم المعنى وإليك الأمثلة التي استعان بها الحوفي من الشواهد الشعرية :في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٥] ، يقول ومعنى يعمهون يترددون عل مجاهد وابن عباس ، ويقال : عمه إذا حار وانشد أبو عبيد لرؤية [٦]:

---

١ - الباقلاني: إعجاز القرآن ٣٨.
٢- د. شوقي ضيف: العصر الإسلامي ٣١.
٣ - د- شوقي ضيف :نفسه ٣٣.
٤- د- شوقي ضيف :نفسه ٣٣.
٥ - سورة البقرة آية ١٥.
٦ - رؤية :هو رؤية بن الحجاج ولد سنة ٦٥هـ، وتوفي سنة١٤٥هـ"راجع د- شوقي ضيف :العصر الإسلامي ٤٠١"

أطرافـــــــهُ في مهمـــــــة **** أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّهِ أي المتحيرين

الحوفي يريد الوقوف علي المعنى يعمهون وهو يرجح القول بأن معنى يعمهون يتحيرون ،ويستشهد بما جاء في قول رؤية بن العجاج بأن العمه التحرير، ورؤية يقول عند الدكتور شوقي ضيف : أنه كان جبريا ، ويؤمن بأن عمل الإنسان قدر مقدر عليه لا مفر منه و أن الروح إلا الإسلامية قوية في شعره (١)، و إذا كانت الروح إلا سلاميه قوية في شعره فذلك لتأثره بالنص القرآني واقتباسه من ألفاظه.

وفي قوله تعالي﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ.... ﴾ (٢)، يقول : وصلوات الله على عباده غفرانه ورحمته ، واصل الصلاة الثناء والدعاء من الناس ، ومن الله عزوجل الرحمة لعباده والثناء عليهم ، وجاءت الصلاة بمعني الدعاء قول الأعشى :

عليكِ مثل الذي صليتِ فاغتمضي **** نومًا فإن لجنب المرءِ مضطجعا

يروي مثلُ ومثلَ ،فمن نصب فإنه يأمرها أن تدعو له مثل دعائها أي بعد الدعاء ، ومن رفع فهو رد عليها أي بذلك من الخير مثل الذي أردت . وقد جاءت بمعنى الرحمة والثناء كما قال السفاح بن بكر اليربوعي :

صلي علي يحيي واشيا عه "ربّ كريم " وشفيع مطاع

أي عليه الترحم الثناء الجميل (٣)، فالحوفي في كشفه عن المعني يبيِّن لنا أن النص القرآني مهين لا ينضم يأخذ منه الأدباء والشعراء والعلماء ويظهر أثر ذلك في اتفاق اللفظ والمعني بينهما .

١- د . شوقي ضيف : نفسه ٤٠٣.
٢ سورة البقرة آية ١٥٧.
٣ - الحوفي: البرهان ١٥/٣.

وفي قوله تعالي (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا...) (١) يقول : فقال لا يألونكم خبالا أي يستطيعونكم شرًا ، يقول ألوت ألوُ ألوًا أي لا يقصرون جهدًا قال الشاعر أبو العيال الهذلي :

جَهْدًا ألا تألوا إذا هي أظهرت **** بصرًا ولا من عليةٍ تغنيني

أي لا تقصر بصرًا يريد أنها جهدًا ألا تستطيع عند الطهر إبصارا، فهو يبيِّن مدي الارتباط بين البيت الشعري والنص القرآني عن طريق كشف المعني .

وفي قوله تعالي﴿ ....وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ (٢) ، يقول: وقوله تعالي﴿ ....وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ (٣) أي ولا تزل يا محمد تطلع علي اليهود نقضوا ميثاقي ونكثوا عهدي مع أياديَّ عندهم ونعمي عليهم على مثل ذلك من الغدر والخيانة إلا من قليل منهم ،والخيانة يراد بها الخيانة يقال : رجل خائنة قال الشاعر :

حدّثت نفسك بالوفاء ولم تكن **** للغدر خائنةً مغلَّ الأصبع

تقول : لا تجيء فتغلل إصبعك في المتاع أي تدخلها للخيانة ومغل بدل من خانية ، ويجوز أن يكون المعني جماعة خائنة أو فرقة خائنة وهو أشبه بالآية لأنه جرى ذكر جماعة فيجيب أن يكون الخبر مقابلاً لها (٤).

وفي قوله تعالي﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٥).

---

١ - سورة البقرة أيه ١١٨.
٢ - سورة المائدة آية ١٣.
٣ - سورة المائدة آية ١٣.
٤- الحوفي: البرهان ٩/٩.
٥ - سورة الإنعام آية ٨.

يقول:و معنى القضاء الفصل و لو جاءت الآيات لم يأخرا بالعذاب و قال أبو ذئيب بالعمل و الفصل في القضاء: و عليهما مسرأتان قضاهما داود أو صتعوا السوابغ تبع(١).

و في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ....﴾ (٢)، يقول: وقوله طائف من الشيطان وطائف أي وسوسة الشيطان قال أبو عمرو : وقال غيره اللمم وقال أبو عباس النزع أي يفهمه القلب ، وقيل الطيف الاسم مصدر من طاف يطيف حكي سماعا من العرب وينشد :

أنّي ألمّ بك الخيل في طائف **** ومطافهٌ لك ذكره وشغوف (٣).

وشاهدًا علي صنيع الحوفي ارتأينا أن نبين بعض الشواهد الشعرية التي استفاد منها في الكشف عن المعني وكيفية استفادته سواء في اللغة والقراءة أو في مسائل النحو أو في المعني والتفسير أو في الأحكام الفقهية لتكتمل صورة منهجه الذي اعتمد عليه في تفسير النص القرآني .

اولا : بعض الشواهد التي جاءت في اللغة والقراءة :

دلل الحوفي علي أن لفظ الجلالة "اللّه" مشتق من لاه واستشهد به الشاعر:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ **** علي ولا أنت دياني فتخزوني (٤).

أي ولا أنت مالك أمري فتوسني (٥).

كما بين أنه يمكن إبدال الهمزة هاء يقول :"وفي إيَّا لغة أخري وهي "هِيَّاك " تبدل من الهمزة هاء قال الشاعر :

---

١ - الحوفي: البرهان ١٤/١٠.
٢- سورة الأعراف آية ٢٠١.
٣ - الحوفي: البرهان ٤٨/١٤.
٤- ذكر ابن هشام : أن هذا البيت من قول ذي الاصبغ "مغني اللبيب ١٤٨/١."
٥ - الحوفي: البرهان ٥/١.

فهيـــاك والأمـــر الـــذي إن توســـعت **** مـوارده ضـاقت عليـك مصـادره[١].

وفي قوله تعالي(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..) [٢] يستشهد الحوفي بقول الشاعر علي قوله "وعملوا " في اشتقاقها وتصريفها أن منها "اعتمل اعتمالا" فيقول : ينشد في اعتمل الرجل إذا عمل بنفسه :

إن الكـــــريم وأبيـــــك يعتمـــــل **** إن يجد يومـا علـى مـن يكتمـل[٣].

أما شواهد القراءات فكثير اقتصرنا علي ما جاء في :قوله تعالي(... وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ ...) [٤] يبيِّن أن كلمة تفادي تأتي بالمد والقصر يقول :والفداء يمد ويقصر، والقصر أكثر وينشد لمقاسي العبادي:

فِـدَي لـبني ذهـلُ بـن شـيبنا يـا فـتي **** إذا كان يومٌ ذو كوكبَ أشهبُ[٥]

وفي قوله تعالى﴿ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦] يستشهد أن التسكين يأتي التحريك في المجرور، يقول : وقد جاء الإسكان في المنصوب كما جاء في المجرور قال القائل :

كـــأن أيـــديهنَّ بالقـــاع القـــرَق **** أيـدي جـوارٍ يتعـاطين الـورق[٧]

---

١ - الحوفي: نفسه ١٦/١، وذكر ابن منظور شاهدًا آخر :
فانصرفت وهي حصان مغضبة ورفعت بصوتها: هَيا أَبهْ
قال ابن السكيت : يريد أيا أَبهْ . ثم أبدل الهمزة هاء ، ابن منظور : لسان العرب مادة أيا"
٢ - سورة البقرة آية ٢٥.
٣ - ذكر ابن منظور ذلك البيت ونسبه إلي سيبويه . " لسان العرب مادة عَمَلَ "
٤ - سورة البقرة آية ٨٥.
٥ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢
٦ - سورة الجمعة آية ٧.
٧ - الحوفي: البرهان ٩٠/٢.

كما يبيِّن أنهم أجازوا النصب في الواجب ، كما جاءت بعض القراءة في قوله تعالى: "أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" فقد قرأ ابن عامر" فيكون بالنصب يقول : وأيضا فقد أجازوا النصب في الواجب أنشد سيبويه لطرفة ابن العبد:

لنا هَضْبَةٌ لا يدخل الذُلُّ وسطهَا **** و يأوي إليها المستجيرٌ فيعصما(١)

و كذا الأعشى:

ثمت لا تجزيني عند ذاكم **** ولكن سيجزيني الإله فيعقبها(٢)

و كذا المغيرة بن عمرة الحظلي:

سأترك منزلي لبني تميم **** و ألحقُ بالحجازِ فأستريحَا(٣)

ثانيا: بعض الشواهد التي جاءت في النحو:

كما اعتمد في كشفه عن المسائل النحوية كثيرا على الشاهد الشعري، فهو يستشهد على أن كلمة النصارى جمع واحد هم نصران و نصارنه قال الشاعر:

فكلتا هما خرت و اسجد رأسها **** كما سجدت نصارنه لم تحنف(٤)

كما يستشهد على أن " بغياء" مفعول من أجله يقول: و بغياء مفعول من اجله أي أن يكفروا للبغي أو من اجل البغي، و كفروا عامل فيه و مثله قول حاتم الطائي:

و أغفر عوراءَ الكريم ادخارَهُ **** و اعرضُ عن شتم اليتيم تكرما (٥)

١- الحوفي: البرهان ١٢٥/٢ وراجع الكتاب لسيبويه ٤٠/٣.
٢ - الحوفي: البرهان ١٢٦/٢ وراجع الكتاب لسيبويه ٣٩/٣.
٣- الحوفي: البرهان ١٢٦/٢.
و راجع كتاب سيبويه ٣٩/٣ غير أن محقق الكتاب ذكر أن البيت للمغيرة بن حبناء .
٤- ذكر ابن منظور أن البيت لأبي الأخرز الحماني يصف ناقتين طأطأت رؤوسهما من الإعياء" اللسان: مادة " نَصَرَ"
٥- د. محمد عيد: النحو المصفى نسبة لحاتم الطائي ٤٤٨.

أي أغفر عوراء الكريم لادخاره أو من أجل ادخاره[١] وفي قوله تعالى:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ..﴾[٢] يقول: إلا بحبل من الله العامل في الباء ، ضربت أي ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل من الله ، وقال: الفراء هو استثناء منقطع والعامل محذوف تقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله و أنشد[٣]:

رأتني بحبليها فَصَدَّت مخافةً **** وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

أراد رأتني أقبلت، وهذا ضعيف في الآية لأن حذف الموصول لا يجوز مع أنه إذا صح معنى الكلام على غير حذف فليس لنا أن نحمله على حذف[٤].

وفي قوله تعالى:﴿ ....فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ... ﴾[٥]، يقول: يقال: أغريته بالشيء إغراء وغرّى به غراً وغراءً وأصل الإغراء: اللصوص والغر اللصوقة وقال كثير في مدة[٦].

إذا قيل مهلا قالت العين بالبكاء غراء ومدتها حوافل بهل[٧].

وفي قوله تعالى﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾[٨] يقول: أن تلقي أن في موضع نصب وكأنك قلت: اختر إما إلقاؤك و إما إلقاؤنا فإن نصب بمعنى اختر وجاز ذلك لأنه كلام فيه معنى الأمر، ويجوز أن تكون أن في موضع رفع

١- الحوفي: البرهان ٧٨/٢.
٢- سورة آل عمران آية ١١٢.
٣- البيت لحميد بن ثور الهذلي.
٤- الحوفي: البرهان ٢٤/٦.
٥- سورة المائدة آية ١٤.
٦- الحوفي: البرهان ١٠/٩.
٧- ذكر ابن منظور أن معنى يغري: كأن اللصق بالإغراء يقول: يقال: غرا هذا الحديث في صدري، بالكسر، يغري بالفتح كأنه ألصق بالإغراء. و غَرِيَ بالشيء يغري غراً و غَراءً و كذلك أُغْرِيَ بِهِ إِغْرَاءً و غَراة و غُري و أَغْرَاهُ بِهِ لا غير و الاسم الغروي، و قيل : الاسم الغراء بالفتح و المد و ذكر رواية أخرى يقول و منه قول اكثير :
إذا قلت: اسلوا غارت العين بالبكا **** غراء و مدتها مدامع حفل .
" ابن منظور اللسان مادة غرا"
٨- سورة الأعراف آية ١١٥.

و التقدير: إما إلقاؤك مندوبة و إما إلقاؤنا. و يقال: لم قلت أن مع إما في إما أن تلقى و لم تدخل في إما يعذبهم و إما يتوب عليهم، الجواب: لأن في إما أن تلقي معنى الأمر كأنه قيل: اختر إما أن تلقي أنت و إما أن نلقي نحن و الكلام إذا كان فيه معنى الأمر مع إما فلابد من أن لأن الأمر الغالب عليه الاستقبال فتدخل لتحقق هذا المعنى و إذا كانت إما بمعنى الخبر لم يحتج إلى أن واسم كان مضمر فيها و نحن فاصلة والملقين الخبر، و إن شئت جعلته نحن توكيدا للمضمر في نكون و مثال النصب في أن قوله تعالى﴿ ...فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً...﴾ (١)، أي تفعلون منا أو تأتون منا و كذلك فداء وقد جاء الرفع و النصب في بيت قال(٢):

فسيروا فإمَّا حاجةً تقضيانها **** و إما مقيل صالح أو معرس

أمَّا إذا جاءت فحكمها أن تكون مكررة و لا يحسن أن تخلفها تقول: إما تقوم أو تقعد و قد جاء ذلك في الشعر:

فقلت لهن امشين إمَّا نُلاقِه كما قال أو تشفى النفوس فتعذرا

و في قوله تعالى﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣)،

يقول: إذا ظرف مضاف إلى كالوا و هم في موضع نصب بكالوا و التقدير كالوا لهم و هو كما تقول: كلتك و صدقتك ولا يجوز وهبتك لما فيه من الإشكال، فإن قلت: وهبتك ديناراً كان، و من قدَّر اللام محذوفة قال هو مثل قوله(٤):

و لقد جنيتكَ أكمؤ و عساقلا **** و لقد نهيتكَ عن بنات الأوبر(٥)

١- سورة محمد آية ٤.
٢- الحوفي: البرهان ٦/١٢.
٣- سورة المطففين آية ٣.
٤- الحوفي: البرهان ٤/٢٨.
٥- راجع ابن منظور مادة " وَبَرَ " حيث أسند روايته للأحمر و الأصمعي" الإنصاف ٣١٩/٢"

و مثل قوله:

أمرتك الخير فأفعل ما أمرت به **** فقد تركتك ذا مال و ذا نشب[1]

ثالثا: بعض الشواهد التي جاءت في الأحكام الفقهية:

ففي قوله تعالى: (...فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2]

يقول: و أصل الفيء الرجوع و منه قوله عزوجل﴿ ...حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ... ﴾[3]، يهني حتى ترجع، و منه قول الشاعر:

ففاءت و لم تقض الذي أقبلت له **** و من حاجة الإنسان ما ليس قاضيا[4]

رابعا: بعض الشواهد التي جاءت في المعنى و التفسير:

يذكر شاهداً على معنى قوله تعالى" يعمهون" بمعنى يتحيرون، يقول: و يقال عمه إذا حار، **وأنشد أبو عبيده لرؤية:**

و مهمهٍ أطرافه في مهنةٍ **** أعمى الهدي بالجاهلين العمه[5]

كما بيَّن أن معنى الساجد الواضع جبهته بالأرض و استشهد بقول كثير:

رهبان مدين و الذين رأيتهم **** يبكون من حذر الإله قُعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها **** خرّوا لعَزّة خاشعين سُجودا

يقول و جعل زيد الخيل السجود التذلل و التطامن فقال:

بجمعَ يضلُّ في حجراته **** ترى الأكم فيه سجداً للحوافر[6]

١- ذكر سيبويه و نسبه إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي: " الكتاب ٧/١".
٢ - سورة البقرة من الآية ٢٢٦.
٣- سورة الحجرات آية ٩.
٤- الحوفي: البرهان ٤٦/٤ ذكره الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية ٤٢٠/١ و نسبه إلى ذي الرمة.
٥- ديوان رؤية ١٤٢ ط ليبج، الطبري ١٢٦/١ لرؤية بن العجاج.
٦- الحوفي: البرهان ٤٦/٦، اللسان" مادة قوق "

و في قوله تعالى(...وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ...)[١]

يقول: و إلى جنة عرضها السموات و الأرض أي كعرض السموات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض ووصف عرضها بعرض السموات والأرض تشبيهاً في السعة والعظم كما قيل: " مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ..."[٢] أي كبعث نفس واحدة و مثله قول الشاعر:

كأن غديرهم بجنوب سِلِّي **** نعام قاق في بلد قفار[٣]

و في قوله تعالى(وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ)[٤] أي و يمنعون الناس منافع ما عندهم و يقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون و قال الأعشى:

بأجوَدَ منه بِمَا عُونِهِ إذا **** ما سماؤهم لم تغم[٥]

و قول الراعي:

قوم على الإسلام لما يمنعوا **** ما عونهم و يضيعوا التهليلا[٦]

بهذا جمع الحوفي بين مناهج التفسير المتعددة، فجمع بين المنهج اللغوي بسماته التي اختصت بالبحث في أصل الكلمة و موقعها الصوتي و اشتقاقها و تصريفها ودلالتها اللغوية و موقعها الإعرابي و التعلق اللفظي، و بين المنهج النقلي بسماته التي اختصت بتفسير القرآن بالقرآن و بالسنة و أقوال العلماء مع بيان أسباب النزول والناسخ

١ - سورة البقرة آية ٢٥.
٢ - سورة البقرة آية ٢٥.
٣- ذكر ابن منظور أن البيت أنشده ابن الإعرابي لقطر الطهوي اللسان مادة " عَنَقَ "
٤ - سورة البقرة آية ٢٥.
٥- ذكر ابن منظور أن البيت للأعشى راجع لسان العرب مادة " مَعَنَ "
٦- ذكر ابن منظور أن البيت للراعي النميري و أورده برواية أخرى:
قوم على التنزيل لما يمنعوا ***** ما عونهم و يبدوا التنزيلا
ابن منظور " لسان العرب مادة " مَعَنَ " ، الحوفي: البرهان ٢٢/٢٨.

والمنسوخ والمكي والمدني، وبين المنهج الفقهي بسماته التي تبحث في الأحكام الفقهية عن طريق الجمع بين أقوال أئمة المذاهب الفقهية ملتزما في ذلك النص القرآني، وبين المنهج الكلامي بسماته، وبين المنهج الأدبي والحوفي في كل.

ذلك ملتزم بالنص القرآني، وتفسيره بهذا يعد موسوعة لغوية نقلية فقهية كلامية أدبية حتى أنك تقف أمام هذا التفسير حائراً متسائلاً كيف تم لعالم مثل الحوفي أن يجمع بين كل هذا؟ وهذا ما سوف يكشف عنه الباب التالي إن شاء الله.